الفصل الثالث

وسائط تنمية ذكاء الأطفال

" وسائط تنمية الذكاء لدي الأطفال، هي نفس وسائط وأدوات التنشئة المتكاملة للطفل. ولأنَّ الذكاء ما هو إلاَّ عنصر من عناصر النمو المتكامل للطفل، وإن كان أهم هذه العناصر، فلابدّ أن تتذكَّر، أنَّ جميع وسائط تنمية الذكاء لدي الطفل وسائط متكاملة، ولابدّ منها جميعاً، حتي يشب الطفل وهو يتمتع بأقصى درجات الذكاء، والنموّ العقلي السليم.

♦ الأسرة..وتنمية ذكاء الأطفال:

تلعب الأسرة دوراً حيوياً في تنشئة الأطفال عموماً، وفي تنشئة ذكائهم علي وجه الخصوص، فالأسرة يبقي فيها الطفل كُلّ سنواته الست الأولي، ثُمَّ بقية عُمُره بعد ذلك، حتى تتفتح مشاعره، وحتى تنموّ ملكاته. وفي رحابها بدءاً من يوم ولادته، وحتى دخوله للمدرسة، يستمر دور الأسرة في تنمية ذكائه.

وتبدأ عملية تنمية عقل الطفل وأيضاً عملية تنشئته منذ يوم ولادته. ثُمَّ تبدأ عملية تنمية ذكائه، وما لعب الأُمّ مع طفلها منذ لحظة مولده، ومناغاتها إياه، وفترة الرضاعة الطبيعيَّة، إلاَّ نموذجاً لبداية تكوين حواس للطفل وبدء تعرُّفه علي أُمّه وأبيه وإخوته.

والأسرة تعتبر العامل الأوَّل في التنشئة وتنمية الذكاء، وذلك لأنَّ أعضاء الأسرة تكون صلتهم دائمة بالطفل وتأثيرهم عليه

كبيراً، كما أنَّ التفاعُل بين الأسرة والطفل أشد كثافة وأطول زمناً، كما أنَّ فترة ما قبل المدرسة من أشد الفترات من حيث تشكيل شخصيَّة الطفل وتحديد معالم سلوكه الاجتماعي، ويعتمد تحديد شخصيَّة الفرد علي عدة عوامل منها: الاستعدادات الوراثية، والقيم والمعايير التي تسود الثقافة الفرعية التي ينتمي إليها، وأساليب الثواب والعقاب التي تُمارس داخل الأسرة.

كما يُجمع علماء النفس علي أنَّ الخبرات الاجتماعيَّة السليمة، والعلاقات المُتعدِّدة التي تتوفر للطفل في الأسرة في السنوات الأوَّلي من حياته تقوم بدور مهم في تكوين وبناء شخصيته وتشكيل سلوكه وتوافقه النفسي.

ولقد أظهرت نتائج العديد من الدراسات العلميَّة، أنَّه توجد علاقة جوهرية بين قدرات الأفراد الابتكارية والمستوي الاجتماعي والاقتصادي للأسر التي ينتمون إليها، فهناك دراسة تؤكِّد علي وجود علاقة جوهرية بين الابتكار والمستوي الثقافي للوالدين، وأخري بيَّنت وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المستوي الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، وبين التفكير الابتكاري للأبناء.

ولذلك.. فالأسرة تلعب دوراً مهماً في تنمية قدرات الأبناء الابتكارية، لما توفره من فرص التعرُّض للخبرات الناجحة تعرُّضاً مباشراً، وبالتالي تُنمي التفكير الابتكاري وتُشجعه عند هؤلاء

الأبنـاء، كمـا تُسـاعدهم الأسـرة علـي مواجهـة المشـكلات الحياتيـة واكتسـاب القـدرة علـي حـلِّ هـذه المشـكلات بأسـلوب غيـر تقليـدي

♦ المدرسة.. وتنمية ذكاء الأطفال:

تُعتبـر المدرسـة حجـر الزاويـة في الإعـداد الفكـري للطفـل وتنميـة قدراتـه العقليَّـة وتوسـيع مداركـه وآفاقـه الذهنيَّـة، وذلـك طبقـاً لمناهـج مقنَّنـة مُخطَّطـة تناسـب جميـع التلاميـذ في شـتي الأنحـاء بصفـةٍ عامـةٍ.

فلقـد كانـت النظـرة إلـي المدرسـة منـذ عهـد قريـب تتبلـور في أنَّهـا مـكان للدراسـة، وتلقـين المعلومـات، وعـرض المشـكلات الخاصَّـة بالمنهـج، والبحـث عـن أنسـب وأنجـح الوسـائل لنقـل المـواد الدراسـيَّة المختلفـة مـن عقـول المُعلِّمـين إلـي عقـول الأطفـال، تلـك كانـت وظيفـة المدرسـة التقليديـة، أمَّـا رسـالة المدرسـة الحديثـة التقدُّميـة، فهـي ليسـت قاصـرة علـي تعليـم الطفـل عـن طريـق تلقينـه بعـض المعلومـات، بـل لهـا رسـالة أخـري لا تقـل أهميـة عـن الرسـالة السَّـابقة، وهـي العمـل علـي تربيـة الطفـل وتكويـن شـخصيته مـن جميـع النواحـي، وتنميـة ذكائـه وتفكيـره.

والمدرسـة الابتدائيـة، علـي سـبيل المثـال، هـي حجـر الزاويـة في العمليـة التعليميـة والتربويـة، وهـي الأسـاس الـذي ترتكـز عليـه الـدول في تكويـن وإعـداد الأجيـال المقبلـة، وتعتبـر المرحلـة الابتدائيـة

مرحلة فريدة ومهمة في وظيفتها وأهدافها، من حيث بناء المهارات الأساس في القراءة والتعامُّل بالحروف والأرقام، وغرس الاستعداد للتعمُّق والتوسع في هذه المهارات، بالإضافة إلي أنَّها أوَّل مرحلة من مراحل التعليم تستقبل الطفل في أوَّل عهده بالدراسة، فتُحبِّب إليه التعليم والدراسة ومواصلة الجد والدأب والتفكير، وتغرس فيه القيم الخيرة الكفيلة بتكوين المواطن الصالح القادر علي المحافظة علي التراث الثقافي والتقاليد والمعتقدات الصالحة ونقلها من جيلٍ إلي جيل.

وينبع دور التعليم من هدف المدرسة في مساعدة طلابها علي النموّ السَّوي جسمانيًّا وعقليًّا ووجدانيًّا، حتى يصبحوا مواطنين مسؤولين عن أنفسهم ووطنهم، وحتى يفهموا بيئاتهم الطبيعيَّة والثقافيَّة بكافة مستوياتها، فالمدرسة الحديثة، تتيح لكُلِّ طالب وطالبة التعرُّف علي ذاته وميوله، وتنمية مواهبه، وإشباع حاجاته، حتى يعيش في جوٍّ يتبادل فيه الخبرات مع الآخرين، طلاباً ومُعلِّمين، ويطلع علي خبرات مُعلِّميه، لينمي مواهبه ويصقلها، فيشعر بالاكتمال النفسي، وينموّ الحَدْس لديه نموًّا سليماً.

فالمدارس أماكن علم يجتمع فيها التلاميذ أو الطلاب ، وهي بذلك مراكز للتطوير والابتكار، تظهر فيها طاقات خلاَّقة عن طريق أفكار الطلاب وأعمالهم البناءة، ولا يقتصر التعليم علي

الصَّف الدراسي في تزويد الطلاب بالثقافة العامَّة الأساسية، وتنمية القيم والاتجاهات والميول والمهارات وأساليب التفكير المرغوب فيها فحسب، بل يمتد إلي العمل خارج الصَّف الدراسي.

وتقوم الأنشطة المدرسيَّة الحُرَّة (التي هي وسيلة من وسائل المدرسة الحديثة كمؤسَّسةٍ تربويةٍ تعليميةٍ) بدور بارز في تنمية الذكاء، فهي خير مكان يُستغل في إبراز طاقات أبنائها وقدراتهم الكامنة، وإمكاناتهم المتدفقة، وهواياتهم التي يسعون إلي ممارستها.

أمَّا المُعلِّم.. فيقوم بدور حيوي بالنسبة لتنمية الذكاء لدي الأطفال في المدرسة، فالمُعلِّم يمكن أن يُزيد من ابتكار الأطفال في الفصل عن طرق تدريبهم علي الاستجابة لكُلِّ موقف مُعيَّن بأساليب مختلفة، ولذا.. فيجب علي المُعلِّمين أن يقوموا بتهيئة جوّ الفصل الدراسي وإثراء بيئته، بحيث تُساعد الأطفال علي تنمية قدراهم الابتكارية والعقليَّة وتنمية الذكاء لديهم بشكل ملحوظ.

والمدرسة كما هو معروف ، ليست هي كُلّ العملية التعليميَّة، فهي مُجرَّد أحد أوجه التربية والعملية التعليميَّة، فالعملية التعليميَّة تضم وتشمل الأوجه التعليميَّة والتربويَّة المختلفة، فهي تعمل من جهةٍ علي تنمية قدرات الفرد وتهذيب ميوله وصقل فطرته وإكسابه مهارات عامة في جميع نواحي حياته، كما تعمل في الوقت نفسه علي تهيئته لأن يعيش سعيداً في الجماعة ويتكيَّف

معها ويسهم في نشاطها، فالتربية، والتعليم، والتعلُّم جميعها تؤدي إلي البناء السلوكي والإدراك العقلي للأطفال، كما أنَّ النظام المدرسي له دور مهم في تنمية قدرات الطفل، مثل مدة الدراسة التي يتلقاها الأطفال وتجاوبهم مع مُعلِّميهم، والإدارة المدرسيَّة ونوعها، كما يُحقِّق النظام المدرسي نشر الروح العملية لدي التلاميذ وتشجيعهم علي البحث والاطلاع، وهذه الروح هي المستلزم الأوَّل للإبداع، وبالتالي الذكاء.

ونظراً لأهمية العملية التعليميَّة من: تعليم ـ تعلُّم ـ نظام مدرسي ـ مناهج مدرسية ـ مناهج تربوية ـ أنشطة ـ هيئات تدريس ..إلخ من جوانب العملية التربويَّة والتعليميَّة، في بناء وتنمية الذكاء لدي الأطفال، نجد أنَّ أوَّل وزير لتطوير وتنمية الذكاء في فنزويلا ـ وكما أوضحنا من قبل ـ يقول: «إنَّ هناك مناهج لتعليم التفكير وتنمية الذكاء، لو أجادت مطابخ التربية تطبيقها لقدَّمت للعالم وجبات شهية من الأذكياء».

♦ وسائل الإعلام والاتصال..وتنمية ذكاء الأطفال:

تأتي أهمية وسائل الإعلام في تنمية وتطوير الذكاء لدي أطفالنا من قدرتها علي تقديم خبرات متنوعة وثرية وجذابة للصِّغار، والكبار معاً، ولذلك فهي قادرة علي الإسهام في تكوين قيم إيجابية مرغوبة، كما يمكنها أن تشارك في عمليات التغيير

في المجتمع، وهناك العديد من الدراسات التي تؤكِّد الدور الفاعل والتأثير المهم لأجهزة الإعلام والاتصال في التأثير علي القدرات العقليَّة للطفل وتطوير هذه القدرات، حتي يشب الطفل قادراً علي خدمة نفسه ومجتمعه.

إنَّ وسائل الإعلام والاتصال حوَّلت العالم كُلَّه إلي داخل بيوتنا، ووجهته للأطفال خصوصاً في كثافةٍ، وفي اهتمام كبير، ممَّا جعل لوسائل الإعلام المختلفة تأثيراً شديداً علي عقول الأبناء.

ولقد زاد الاهتمام بأهمية وسائل الإعلام وقدرتها علي تغيير الأفكار والأذهان، منذ أن وضع« هايمان » Hayman أوَّل مراجعة له لدراسة دور الإعلام في تنشئة الفرد في عام ١٩٥٩، ثُمَّ أكمل «كلابر» Clapper الدراسة عن آثار الاتصال الجماهيري، وبعد ذلك وضع« شرام » Shram وزملاؤه أوَّل دراسة شاملة عن أطفال أمريكا الشماليَّة واستخدامهم للتلفزيون عام ١٩٦١ ، وبعد ذلك بدأ طوفان من الدراسات التي أكَّدت ما للإعلام من دورٍ في تدعيم الأسرة كمركز منطقي للتأثير علي الأطفال، وكذلك جميع الوسائط الأخرى. ثُمَّ أكَّدت الدراسات أنَّ وسائل الإعلام تؤكِّد الاتجاهات والقيم والسلوك القائم، واعتبرت هذه الدراسات وسائل الإعلام أجهزة نقل للمعلومات، وخصوصاً للأطفال.

وهذا التأثر مهم للغاية، لأنَّ وسائل الإعلام لا تعمل علي مستوي فردي أو جماعي ضيق، بل تعمل علي مستوي جماعي لمجموع المشاهدين والمستمعين والقارئين، والذين أصبح عددهم بالملايين، بعكس الأسرة التي تركز جهدها علي طفلها فقط، وبعكس المدرسة التي تركز الجهد علي الطلاب داخل قاعة الفصل الدراسي، فوسائل الإعلام، رغم أنَّها ناقلة للمعلومات، إلاَّ أنَّها تميل إلي تقوية التوجهات المطلوب بثها في الأفراد، سواء أكانت توجهات جديدة، وبالتالي تعمل علي النفاذ إلي عقل الطفل والتأثير عليه وتنميته وتطويره في ضوء الأهداف الوطنية الموضوعة.

وتوصف وسائل الإعلام والاتصال بأنَّها المصدر المسيطر، وهي بالفعل تسيطر علي حواسنا البصريَّة والسمعيَّة والحسيَّة المختلفة، بجميع أدواتها من اتصال مباشر أو صحافة أو مطبوعات، ومن إذاعة مسموعة أو تلفزيون مرئي، وغيرها من الأدوات الإعلامية.

♦ جماعات الأصدقاء..وتنمية ذكاء الأطفال:

وتسمي جماعات الرفاق، أو الأصحاب، أو الزملاء، وهي مجموعة من الأصدقاء والزملاء والبيئة الخارجية التي تحيط بالطفل، سواء في المدرسة أو البيت.

ولقد برزت أهمية هذه الجماعة في تشكيل قيم الأفراد مع التحولات الاجتماعيَّة في العقود الأخيرة، والتي برزت بوضوح مع ضعف الروابط الاجتماعيَّة داخل الأسرة الواحدة، وظهور ما يُسميّ بـ « صراع الأجيال » بين أعضاء الأسرة الواحدة تجاه مواقفهم من القيم المختلفة الموجودة بالمجتمع وثقافته.

وجماعات الأصدقاء، وإن كان دورها متدني إلي حدٍّ ما في مجتمعاتنا العربيَّة، إلاَّ أنَّ لها أهمية بالغة في تنمية ذكاء أطفالنا، فهي تؤدي إلي التأثير بشدةٍ في تنمية الفكر والعقل، ونقل نماذج السلوك والقيم المستقرة، وإعداد الطفل من أجل الوفاء بالأدوار المطلوبة منه، كما أنَّ جماعات الرفاق تعد بناءً اجتماعيًّا غير رسمي، يضم عدداً من الأفراد الذين يجمعهم تقارُّب السن أو قرب محل الإقامة أو تماثل الوضع الطبقي، أو وحدة المكان الذي يرتادونه كالمدرسة أو النادي أو محل العمل، وغالباً ما تقوم العلاقات بين هؤلاء الأفراد علي أساس التكافؤ والاحترام، كما ينشأ بينهم تفاعُّل شخصي مباشر، ومن هنا يتأتي لجماعات الأصدقاء والرفاق أن تمارس تأثيراً له مغزاه علي قيم واتجاهات أعضائها. وتضطلع هذه الجماعات بوظيفتين رئيسيتين هما:

- نقل وتعزيز الثقافة وخصوصاً الثقافات الفرعية.
- غرس قيم، ومفاهيم، ونماذج سلوكية جديدة.

وهاتين الوظيفتين تنبعان من أن جماعة الرفاق تتيح لأعضائها أوَّل فرصة لمعايشة مجموعة لحالة غير أسرية تلقنهم كيفية أداء أدوارهم وتنشئتهم علي أنماط جديدة في التفكير والإدراك والسلوك.

كما يجمع علماء النفس علي أنَّ الخبرات الاجتماعيَّة السليمة والعلاقات الكثيرة التي تتوفر للطفل في السنوات الأولي في حياته تقوم بدور مهم في تكوين وبناء شخصيته وسلوكه وتوافقه النفسي والاجتماعي، وبالتالي تنمية ذكائه وتفكيره وعقله.

فجماعات الأصدقاء لها دور حيوي في تنمية الذكاء وتطوير العقل والسلوكيات، لأنَّها لا تخضع لمقاييس ولا قوانين، وقد يتأثَّر الطفل بجماعات الرفاق تأثيراً مفاجئاً، لأنهَّا تنظيم غير رسمي وتأثيرها شديد إذا ما ضعف تأثير الأسرة والمدرسة.